

ندوة حول كتاب: «السلفية والسلفيون الهوية والمغايرة: قراءة في التجربة اللبنانية» للدكتور عبد الغني عماد

بيت الفن، طرابلس، ١ أيار/مايو ٢٠١٦

العميد الدكتور عبد الغني، والذي يقدم جديده في كل مرة، بصورة تختلف عمّا هو شائع ومتداول.

من جهته، رأى الدكتور مصطفى الحولة أن إكباب الباحث عماد على الحركات الإسلامية يعود إلى عام ١٩٩٧، يوم أطلّ بمؤلّفه الذائع الصيت: حاكمية الله وسلطان الفقيه: قراءة في الحركات الإسلامية المعاصرة، والذي أتبعه بمؤلّف آخر بعنوان: الحركات الإسلامية في لبنان: إشكالية الدين والسياسة في مجتمع متنوّع.

وقد أضاف إلى هذين المؤلفين كتاباً في عام ٢٠١٣، عنوانه: الإسلاميون بين الدعوة والدولة: إشكالية النموذج وبناء الخطاب، وذلك على وقع ثورات الربيع العربي. وفي العام عينه، كانت موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي. وقد قام العميد عماد بالإشراف على هذه الموسوعة وبتنسيق وتحرير موادها.

وقد لفت د. حلوة إلى أن د. عماد قارب كتاب السلفية والسلفيون/الهوية

بدعوة من المركز الثقافي للحوار والدراسات ومركز العزم الثقافي، أقيم في بيت الفن في ميناء طرابلس ندوة حوارية حول كتاب الدكتور عبد الغني عماد: السلفية والسلفيون الهوية والمغايرة: قراءة في التجربة اللبنانية، الصادر عن مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، وقد حضر الندوة حشد من المثقفين والفاعليات والجامعيين. وقد حضر الاحتفال ممثلون عن الرئيس نجيب ميقاتي والوزير سمير الجسر والوزير محمد الصفدي، ورئيس دائرة الأوقاف الإسلامية في طرابلس الشيخ عبد الرزاق الإسلامبولي، والأمانة العامة للجنة الوطنية لليونيسكو الدكتورة زهيدة درويش، ونائب رئيس المجلس الدستوري القاضي طارق زيادة، ومدير معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية الدكتور غسان خالد، وحشد غفير من الحضور، غصت بهم القاعة.

افتتح الندوة الدكتور غسان وهبة الذي رأى أن اجتماع هذا العدد اللافت للمشاركة في ندوة حول كتاب، إنما يدل على أهمية الموضوع بقدر ما يدل على أهمية ما يكتبه

كمراجع لا يستغنى عنه لأي باحث في حقل الدراسات السلفية، ولا سيما اللبنانية منها.

وبحسب علوش، فقد أجاد المؤلف في رسم الخطوط الفاصلة بين تيار سلفي وآخر، حين تحدث عن «الهوية والمغايرة» بين التيارات السلفية، معتبراً أن السلفية الجهادية متمثلة بتنظيم الدولة (داعش) أضافت حمولات جديدة على النص المؤسس للأطروحة الجهادية، ما جعل النص يئن تحت عبء هذه الحمولات. فتنظيم القاعدة استحال مع المحددات الجديدة «صحوات مرتدين» بل «يهود الجهاد» كما يسميه منظرو تنظيم الدولة في حين كان النقاش سابقاً يدور في إطار التمايز بين مصطلحي «الخوارج» و«المرجئة».

تمكنت السلفية النجدية من هزيمة السلفية الإصلاحية ومصادرة تسميتها بعد وفاة الإمام محمد عبده، وبروز السيد محمد رشيد رضا الذي انحاز لأفكار محمد بن عبد الوهاب، وفقاً لما يقول علوش الذي يرجع السبب في هزيمة السلفية الوهابية للسلفية الإصلاحية، إلى أن الأولى نجحت في بناء دولة في حين ذابت الأخرى في طروحات التنويريين الذين برزوا في ما بعد وتخلوا رويداً رويداً عن المرجعية الدينية في التأصيل للنهضة.

وقال علوش: «إن السلفية كأيديولوجيا فكرية ودينية نشأت قبل مفهوم الدولة الحديثة، لذا لم تكن معنيةً بمفاهيم مستجدة مثل، الوطنية، القومية الدولة المستقلة، حقوق الإنسان، التبادل السلمي للسلطة، الفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية. ما زالت هذه المفاهيم ملتبسةً عند السلفيين».

والمغايرة من موقعي السوسولوجيا والإسلامولوجيا، متوسلاً في منهجه البحثي الميكروسوسولوجيا والماكروسوسولوجيا، إضافة إلى الدراسة الظاهرية (الفيونولوجيا).

وفي تقويمه الكتاب، رأى د. حلوة أن هذا المؤلف يستمد أهميته وصدقته من راهنية القضايا التي يتطرح، ومن خلال إجابته عن أسئلة الحاضر، وبما يشرع الأبواب على رؤية مستقبلية. وبهذا يشكل مرجعاً في باب، لا غنى عنه للمتخصصين في الحركات الإسلامية وللطلبة الجامعيين، وكذلك للقراء العاديين.

وأشار د. حلوة إلى أن الباحث عماد لجأ إلى «ربط نزاع» مع بحث مهم، يُزمع إصداره في الآتي من الأيام، حول الهوية المتشظية اليوم في الوطن العربي التي أطاحت الهوية الجامعة، وغدت بمنزلة محرك للعقل الجمعي. وأنهى د. حلوة معتبراً المقاربات السوسولوجية والمعرفية التي يقدمها د. عبد الغني عماد للحركات الإسلامية تشكل مدخلاً لا غنى عنه لفهم موضوعي، لا يتخلى مع ذلك عن نقدية تلازمه جعلته رائداً متقدماً بين رواد قلائل، يكبّون على مقاربة هذه الحركات.

تحدث في الندوة أيضاً الباحث الإعلامي الدكتور محمد علوش، مفتتحاً مداخلته بتأكيد نجاح المؤلف في الفصل بين ذاته والموضوع الذي يكتب حوله، فلم يكن محكوماً بإسقاطات أولية أو أحكام معلبة جاهزة. فهو ابن مدينة طرابلس التي تعتبر مهد الظواهر الإسلامية على اختلاف تياراتها. وعندما يكتب، فهو يكتب عن تجربة يعايشها يومياً في الجامعة والجامع والسوق والمنديات. وقد جاء الكتاب

إلا أنه مع تحدي العولمة والحدثة والتغريب، لم يعد بمقدور هذا الجواب الذي ازدادت ضغوطه، وتنوعت الأجوبة في كيفية مواجهة نتائجه، أن يصمد ويوحد أتباعه الذين تفرقوا بين من يعتبرها تحدياً ومن يعتبرها تهديداً، بين من يرى الآخر مجال تهديد دائم، أو دار حرب ومن يراه حقلاً للتفاعل الحضاري ودار عهد وسلام، بين من يرى في الطاعة لولي الأمر ومن يرى في الجهاد ضده على معيار الولاء والبراء. وهذا ما جعل الاستجابة تجاه هذه التحديات أو التهديدات بمثابة ردة فعل دفاعية تتجه نحو الداخل أكثر من الخارج عموماً.

ختم الدكتور عماد مؤكداً أن النزعة السلفية موجودة في الأديان والأيدولوجيات، وهي تتشكل صعوداً أو هبوطاً تبعاً لشروط موضوعية. وإذا اعتبرنا أن صعود الحركات السلفية اليوم نتاج تفاعل مع الظروف والتحديات، فذلك يعود إلى أننا لا نعتبرها ظاهرة هبطت علينا من كوكب آخر، بقدر ما هي نتاج واقعنا وتاريخنا وبنيتنا السياسية والثقافية، وفشل أنظمتنا على المستوى التنموي والوطني، فالمنظور السوسيولوجي هو الذي يحكم قراءة أي تجربة مهما كانت حمولتها الفكرية على الواقع الذي تتحرك فيه، وهو في حالتنا العربية، مناخ متخم بالأزمات والتحديات والفشل والهزيمة، ما يجعل أسئلة الهوية وتحدياتها أقوى الأسئلة □

تطرق علوش إلى تساؤل طرحه المؤلف في كتابه حول سبب جاذبية طرابلس للإسلاميين، معتبراً أن من أسباب بروز الوعي الديني عند إسلامي لبنان، هو نشوء دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠، وما تلاها من ظهور للمارونية السياسية التي عمقت غربة أهل السنة في لبنان، يضاف إليه مظلومية مقصودة لمدينة طرابلس، ما جعل الهوية قطب الرحى في أي مشروع إسلامي لبناني.

وتعليقاً على ما ذهب إليه المؤلف، أن السلفيات في لبنان قادرة على التلبن مستشهداً بترشح أبرز رجالاتها إلى الانتخابات البرلمانية مطلع السبعينيات، رأى علوش أن السلفيات اللبنانية عاجزة عن تأطير نفسها في حزب سياسي، لأن فكرة الأحزاب ارتبطت عادة بصور الميليشيات الخارجة على سلطة القانون والدولة. كما أن الأحزاب عجزت في عبور الطائفية السياسية والمجتمعية. يضاف إلى ذلك، أن السلفيات اللبنانية في أغلبها العام تنحو باتجاه العمل الاجتماعي والإغاثي وبناء المؤسسات الرعائية والعلمية، أملاً في استدرار الدعم المالي وثبوته وتطويره.

في ختام الندوة رأى د. عبد الغني عماد، أنه لم يعد بالإمكان الحديث عن سلفية واحدة اليوم، بل عن سلفيات متعددة على مستوى المرجعيات والرموز والأولويات، على الرغم من كونها تقدم جواباً في مجمله يتمثل بالحفاظ على الهوية وتنقيتها من البدع والمحدثات.